ومن الافاق السما والارض فقال تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم
الانسان اختلاف اللسان واختلاف الالوان ومن عوارض الافاق البرق
والمطر ومن لوازمهما قيام السماء والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق
والثاني يفيد الاستغراق ومن هذا اعتبر شهادة شاهدين فان قول
احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم عليه
السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي فان قيل ما الفايدة في قوله تعالى هنا
ومن اياته ان تقوم وقال تعالى قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان يريكم
ليصير كالمصدر اجيب بان القيام لما كان غير معتبرا اخرج الفعل
بان عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه الحروف المصدرية فان قيل ما الحكمة
انه ذكر ست دلايل وذكر في اربع منها ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول
وهو قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخر وهو قوله
ومن اياته ان تقوم السما والارض اجيب بان الاول فلان قوله بعد
ومن اياته ان خلق لكم ازواجا دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج
من باب واحد على ما تقدم من انه تعالى ذكر من كل باب امرين التقرير
والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما
واما في قيام السما والارض فلانه ذكر في الايات السماوية انها ايات
للعالمين ولقوم يعقلون وظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر
الامر بعد سرد الادلة يكون اظهر فلم يميز احدا في ذلك عن الاخر ثم
انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو القدرة على
الاعادة بقوله تعالى ثم اذا دعاكم واشار الى هوان ذلك القول عنده
بقوله تعالى دعوة اي واحدة من الارض بان ينفخ اسرافيل في الصور
للبعث من القبور فيقول ايها الموتى اخرجوا اذا انتم تخرجون اي منها احيا
بعد اضمحلالكم بالموت والبلا فلا يبقى نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
فان قيل بم تعلق من الارض اما بالفعل بالمصدر اجيب بانهما
اذا جاء نهر الله وهو الفعل بطل نهر معقل وثم هو المصدر وثم للتراخي
زمانه او لعظم ما فيه فان قيل ما الفرق بين اذا واذا اجيب بان الاولى
للشرط والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط
ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى تنبيه قال ههنا اذا انتم تخرجون
وقال تعالى في خلق الانسان اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك
يكون خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة وتراخي بل يكون
نداء خروج فلم يقل ههنا ثم ولما ذكر تعالى الايات التي تدل على القدرة على الحشر
الذي هو على الاصل الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما

والامطار

بقوله

٩٧

بقوله تعالى وله من في السموات والارض ملكا وخلقا كل له قانتون قال ابن عباس
كل له مطيعون في الحياة والفنا والموت والبعث وان عصوا في العبادة وقال
الكلبي هذا خاص بمن كان منهم مطيعا ونفس السموات والارضين له وملكه
فكل له منقادون فلا شريك له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر بقوله تعالى
وهو الذي يبدأ الخلق اي على سبيل التجديد كما انشاهم يعيدون واشار الى تعظيم
الاعادة باداة التراخي فقال ثم يعيده اي بعد الموت للبعث وفي قوله تعالى
وهو اهون عليه قولان احدهما انها للتفضيل على بابها وعلى هذا ايضا كيف
يتصور التفضيل والاعادة والبداءة بالنسبة الى الله تعالى على حد سوا
وفي ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار
المشاهدة بان اعادة الشي اهون من اختراعه لاحتياج الى اعمال فكر
غالبا وان كان هذا منتفيا عن الباري تعالى فخوطبوا بحسب ما الفوه
ثانيها ان الضمير في عليه ليس عايدا على الله تعالى انما يعود على الخلق اي
والعود اهون على الخلق اي اسرع لان البداءة فيها تدريج من طور الى طور
الى ان صارت انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات فكانه
قيل وهو اقصر عليه وايسر واقل انتقالا والمعنى يقومون بصيحة واحدة
فيكون اهون عليهم يعني ان يقوموا نطفا ثم مضغا ثم علقا الى ان يصيروا
رجالا ونساء وهي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ثالثها ان
الضمير في عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة اهون على المخلوق اي اعادته
شيئا بعد ما انشاه هذا في عرف المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب
الله تعالى والثاني ان اهون ليس للتفضيل بل هي صيغة بمعنى هين
كقولهم الله اكبر اي الكبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجي افعل
بمعنى الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سمك السما بنا لنا * بيتا دعايمه اعز واطول

اي عزيزة طويلة وعود الضمير على الباري تعالى اولى ليوافق الضمير
في قوله تعالى وله المثل اي الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة الشاملة قال ابن عباس هو انه ليس كمثله شي وقال قتادة
هو انه لا اله الا هو وقال البيضاوي ومن فسره بلا اله الا الله
اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او
يدانيه ولما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما لهم به نوع مشاهدة قال
في السموات والارض اللتين خلقهما ولم يستعصيا عليه فكيف يستعصي
عليه شي فيهما وهو اي وحده العزيز اي الذي اذا اراد شيا انفذه
فلم يقدر غيره الى التوصل الى بعض شي منه ولا تتم حكمة هذا الكون
على هذه الصورة الا بالبعث بل هو الحكمة الاعظم ليصل كل ذي حق حقه

كان له في غاية الانقياد كائنا ما كان
الحكيم الذي اذا اراد شيا اتقنه
مع

Copyright King Saud University